البناء
السنة السادسة / السبت / 8 تشرين الثاني 2014 / العدد 1630
Sixth year / Saturday / 8 November 2014 / Issue No. 1630

أزمة العلاقات الأميركية ـ «الإسرائيلية»... رسمية

إعداد وترجمة: ليلى زيدان عبد الخالق

خلال الربع الأخير من الشهر الفائت، وبينما كانت الأنظار تتّجه إلى الانتخابات الأميركية النصفية للكونغرس (التي جرت منذ أيام)، وإلى نتائج الضربات الجوّية الأميركية ـ الدولية ضدّ تنظيم «داعش» في العراق وسورية. ووسط الانتقادات المتتالية التي كان يتلقّاها الرئيس الأميركي باراك أوباما من داخل أروقة بيته الأبيض والخارج، من الحلفاء والخصوم وحتّى الأعداء. بينما كان يجري كلّ ذلك، كانت العلاقات الأميركية ـ «الإسرائيلية» تمرّ بأزمة حادّة، كادت تصل إلى الطلاق الحقيقي.

وإذا كان همّ أوباما ما يجري في الشرق الأوسط، ولملمة خيبته بعد تدخّل أميركا السافر في المسألة الأوكرانية، ووسط مخاوفه من خسارة حزبه الانتخابات في أوائل تشرين الثاني، كان همّ «إسرائيل» الأوّل والأخير... نووي إيران.

ويبدو أنّ ما أزّم العلاقات بين واشنطن و«تل أبيب» أمران: «النقّ» المستمرّ إزاء النووي الإيراني، واستغلال الفرص لبناء مستوطنات جديدة، ما يؤخّر عملية السلام المفترضة مع الفلسطينيين.

طفح كيل أميركا، وطفح كيل أوباما، وحتّى اليهود طفح كيلهم من نتنياهو، أمّا مَن انبرى لإعلان ذلك على طريقته الخاصة، فكان جيفري غولدبرغ الذي ـ على ذمّة الإعلام الغربي ـ فضح في «آتلانتيك» الإهانات التي تلقّاها مسؤولون «إسرائيليون» كبار في واشنطن، لتكرّ السبحة بعد ذلك بوابل من التقارير الصحافية، التي جعلت من الأزمة فيالعلاقات الأميركية – «الإسرائيلية»... رسمية.

في التقرير التالي ترجمة لما جيفري غولدبرغ في «آتلانتيك»، ومقتطفات من مقالات نُشرت عقب ذلك في صحف صهيونية.

كتب جيفري غولدبرغ في «آتلانتيك»:

كنتُ أتحدث إلى مسؤول رسميّ سابق في إدارة أوباما عن القائد الأجنبي الذي يبدو أنه قد أصاب البيت الأبيض بالإحباط: «إنه ببيبي، الجبان». مشيراً إلى الاسم المستعار لرئيس الوزراء «الإسرائيلي»، بنيامين نتنياهو.

هذه الملاحظة مؤشر على إخراج العلاقات الأميركية – «الإسرائيلية» المتأزمة إلى العلن، وكدلالة على انفجار العلاقة بين حكومتيْ أوباما ونتنياهو إلى مرحلة لا عودة فيها. علاقات لم تكن يوماً أسوأ بين البلدين، خصوصاً بعد انتخابات تشرين الثاني الماضية. فقد أسقطت الولايات المتحدة الأميركية ـ في الأشهر القليلة الماضية ـ الغطاء الدبلوماسي عن «إسرائيل» في الأمم المتحدة، إذ كان يتوقع الطرفان ـ حتى قبل ذلك ـ المواجهة مع إيران، أو التوصل إلى اتفاق معها في شأن ملفها النووي.

الخطأ الذي يكمن وراء هذا الانهيار في العلاقات قد يكون جيداً في ناحية ما للشريك المدلّل، نتنياهو، وتحديداً لتصرفات أعضاء حكومته. وقد أخبر نتنياهو عدداً من الأشخاص الذين تحدّثت معهم سابقاً عن «شطبه» إدارة أوباما رسمياً من حساباته، وذلك من خلال بعض الكلمات «الغاضبة» التي وجّهتها هذه الإدارة لنتنياهو إبان إرسائه السياسات الاستيطانية في الضفة الغربية، وبناء أخرى في القدس، والتي يرى هؤلاء أنها قد قوّضت جهود وزير الخارجية جون كيري في مسار عملية السلام.

الأنفاس الأخيرة

لطالما وُصف نتنياهو من قبل القادة في إدارة أوباما، على أنه فجّ، قصير النظر، رجعيّ، متغطرس، متباه...، ولو أردتُ لأطلتُ هذه اللائحة. غير أني لم أسمع أحداً وصفه من قبل بـ«الجبان المقرف». أعتقد أنني قدّرتُ التأثير الذي سبّبه هذا الوصف، غير أنه صدف أنني لم أستطع فهمه جيداً. فقد وصف بعض المسؤولين الأميركيين السابقين والمحليين نتنياهو على أنه القائد الوطني الذي يتصرف وكأنه حاكم القدس، أي من منطلق أنه صاحب رؤية قصيرة المدى تقلق باستمرار على إرضاء القواعد الأساسية لقاعدته الانتخابية. وقد لمّح الرئيس أوباما إلى افتقار نتنياهو للشجاعة السياسية، وذلك في مقابلات عدّة أجريتها معه.

ويقول المسؤول الرسمي: «الأمر الجيد في نتنياهو خوفه من إشعال الحروب»، موسّعاً نظرته التحليلية حيال وصف رئيس الوزراء «الإسرائيلي» بـ«الجبان المقرف». «أما السيّئ فيه فيتمثل بأنه لا يفعل شيئاً إيجابياً لاستيعاب الفلسطينيين أو الدول العربية السنيّة. ما يهمه فقط العمل على حماية نفسه من الخسارة السياسية. فهو ليس إسحق رابين، ولا آرييل شارون، بل من المؤكد أنه يشبه ميناحيم بيغن... أي تنقصه مهارة العمل عبر جبهات متعدّدة».

طرحتُ هذه الملاحظة على مسؤول كبير غالباً ما يتعاطى مع الملف «الإسرائيلي»، ويوافق على وصف نتنياهو بـ«الجبان المقرف» في ما يتعلق بتعاطيه مع ملف عملية السلام، لكنه أضاف أن جبنه هذا مرتبط أيضاً بالتهديد النووي الإيراني. وأن إدارة أوباما لم تعُد تثق بقدرة نتنياهو على توجيه ضربة «إسرائيلية» تمنع النظام في إيران من زيادة قدرة التِرسانة النووية الإيرانية. «كان هذا الاحتمال قائماً منذ سنتين أو ثلاث، لكن ليس الآن، فقد أصبح عاجزاً حتى عن سحب الزناد».

يشكل هذا التقييم تغييراً جذرياً في الطريقة التي أصبحت تنظر فيها الإدارة الأميركية إلى نتنياهو. ففي عام 2010، اقتنع المسؤولون أن نتنياهو ووزير دفاعه الأسبق أيهودا باراك، كانا يستعدّان لتوجيه ضربة إلى إيران. وكي نكون واضحين، أدخلت إدارة أوباما هذا التهديد «الإسرائيلي» ضمن حساباتها بهدف إقناع حلفائها كما خصومها، للموافقة على فرض عقوبات ضدّ النظام الإيراني. غير أن الخوف داخل البيت الأبيض من ضربة استباقية كان حقيقياً وواضحاً – كما كانت الحال داخل صفوف المعارضة في حكومة نتنياهو ورؤساء الأقسام في وزارة الدفاع. ودأب المحلّلون في مقرّ القيادة المركزية الأميركية في تامبا على دراسة كافة التفاصيل حتى الصغيرة منها دراسة دقيقة بغية التنبؤ بتوقيت الهجوم «الإسرائيلي» المتوقع.

أما اليوم، يقول مسؤول كبير آخر، فقد انكمشت

> نتنياهو لا يفعل شيئاً إيجابياً لاستيعاب الفلسطينيين أو الدول العربية السنيّة وما يهمه فقط العمل على حماية نفسه من الخسارة السياسية وتنقصه مهارة العمل عبر جبهات متعدّدة

هذه المخاوف. «يشعر ببيبي الآن أنه قد خُدع، فهو ليس بيغن في أوسيراك»، في إشارة منه إلى الضربة الجوية التي شنّتها «إسرائيل» على المفاعل النووي العراقي.

أراح الاعتقاد بعدم تنفيذ نتنياهو تهديداته، المسؤولين في الولايات المتحدة الأميركية، وجعلهم يتنفسون الصعداء في محادثاتهم المستمرّة مع إيران. قد نعتقد أن هذا ناتج عن فهم جديد لنتنياهو على أنه قائدٌ حذرٌ جدّاً، ستكونُ حكومته ممتنة له للغاية. أما في ما يتعلق بوجود قياديين عرب يتمتعون بالرصانة المطلوبة، فهو أمرٌ لا بدّ من نسيان إمكانية حدوثه بعد الآن. كذلك لا يعكس نتنياهو أيضاً صفات هذا القائد الرصين في معالجته الكثير من القضايا.

مظهرٌ آخر من مظاهر جُبن نتنياهو المقرفة، يكمن في نظرة المسؤولين في إدارة أوباما إليه، بسبب رغبته المرضية في الاحتفاظ بالسلطة. بدأت حكومة نتنياهو في الخروج عن مسارها في:

1. إعلام العالم بنيّتها الإسراع في بناء المستوطنات في المناطق المتنازع عليها في القدس.

2 ـ ترك الجميع يعرفون رأيها حيال نظرة أوباما السياسية في الشرق الأوسط وفهمه الخاطئ لها. فالتوسع الاستيطاني، وإدراج أسماء المستوطنين اليمينيين المتطرّفين على لائحة أولئك الذين سيسكنون المناطق العربية في شرق القدس، كلّ ذلك ما هو إلا دلالات واضحة على نيّة نتنياهو السياسية المتطلّعة إلى انتخابات محتملة السنة المقبلة، في إشارة إلى أنه لا يزال يقف إلى جانبهم على رغم الاعتراف العلني بحلّ الدولتين. لكن إدراة أوباما شعرت بهذا النقد الذي وُجّه إليها وقرّرت تحريك الواقع في «إسرائيل» وتغييره. ومنذ أيام قليلة فقط، انتقد نتنياهو أولئك الذين أدانوا توسّع «إسرائيل» في القدس الشرقية وأولئك الذين اعتبروا أنها «مفصولة عن الواقع». وقد قيلت هذه الجملة في وزارة الخارجية على لسان الناطقة باسمها جين بساكي، إذ أضافت: «إذا أرادت إسرائيلَ العيش في مجتمع مسالم، عليها إذاً، اتخاذ بعض الخطوات لتخفيف الضغط. لأن المضيّ قدماً في مثل هذا السعي لا يتناسب ومسار عملية السلام».

إنّها حكومة نتنياهو التي يبدو أنها قد انفصلت فعلاً عن الواقع. فها هي القدس الشرقية تقف على شفير انفجار انتفاضة شعبية فلسطينية ثالثة. فاليهود يؤمنون بحقهم في العيش في أيّ مكان يريدونه في القدس، «مدينتهم المقدّسة». ويعتقد الفلسطينيون، من ناحية أخرى، أن الغاية من زرع اليهود في كل الأحياء العربية، لا يهدف إلى التكامل بل إلى تحقيق السيطرة ـ كي يصبح قيام عاصمة فلسطينية في القدس الشرقية مستحيل التحقق.

وعلى عكس وزير الخارجية الأميركي جون كيري، فأنا غير متفائل على الإطلاق بإمكان قيام دولة فلسطينية (خصوصاً أنّ تنفيذ مثل هذا القرار ستكون له تداعياته الخطرة ونتائجه الفوضوية في تاريخ الشرق الأوسط في مثل هذه اللحظة الحرجة، إذ تنهار بعض الأنظمة العربية، وإذ إنّ أيّ دولة عربية ستقوم في الضفة الغربية ستستسلم من دون أدنى شك ويكل سهولة للتطرّف السائد)، لكني أودّ أن أرى أن تشجيع تنفيذ «إسرائيل» مثل هذه الشروط في القدس الشرقية وفي الضفة الغربية من شأنه المساعدة في ولادة مثل هذه الدولة. وهذا هو تماماً ما تريده إدارة أوباما وكذلك أوروبا وأيضاً اليهود «الإسرائيليين» والأميركيين على حدّ سواء. وهذه هي النقطة الرئيسة للشرخ الحاصل بين واشنطن و«تل أبيب».

لم تتفق «إسرائيل» ولا الولايات المتحدة الأميركية؛ كما الكثيرين من الحلفاء على مثل هذه القضايا الهامة. لكنني لا أتذكر أن البلدين قد سبق واختبرا مثل هذه المرحلة من الازدراء المتبادل. فالغضب العميق في نفوس المسؤولين في إدارة أوباما، يتمظهر على شكل مشاحنات ومناكفات داخل حكومة نتنياهو، رافضين التنازل المناهض للولايات المتحدة. فوزير الدفاع «الإسرائيلي» موشيه يعالون أنّب إدارة أوباما بشكل علنيّ ووصفها بالساذجة، لا بل أسوأ، في ما يتعلق بالمسائل المرتبطة بسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. وقد رفض المسؤولون الكبار بمن فيهم كيري (الذي وصفه يعالون بالمهووس والمسيحي)، وكذلك سوزان رايس، مستشارة الأمن القومي، اللقاء مع يعالون خلال رحلته إلى واشنطن، ولا يمكننا لومهم على قرارهم هذا. فكيري وحده من بين أعضاء حكومة أوباما والذي يلقى انتقاداً واسعاً من سياسيّي الجناح اليميني «الإسرائيلي» المتطرّف، لا يزال يؤمن بقدرة نتنياهو على اتخاذ قرارات جريئة، والتي قد تبرّر سبب هذا الهجوم الواسع عليه.

من المظاهر الملحوظة للتوتر الحالي الذي تشهده العلاقات الأميركية – «الإسرائيلية»، الشعور بعدم الراحة لدى شريحة كبيرة من القادة الأميركيين اليهود حيال تصرّف الحكومة «الإسرائيلية». «فالإسرائيليون لا يظهرون تقديراً كافياً للدور الأميركي في مساعدته الإسرائيليين سواء اقتصادياً أو سياسياً أو عسكرياً». وقد أخبرني أبراهام فوكسمان، وهو رئيس رابطة مكافحة التشهير، ما يلي: «الجملة دقيقة، لكن المضمون غير صحيح. فقد كنتُ أشير إلى مشكلات الإدراة الأميركية في التعاطي مع إسرائيل، لا إلى مشكلات القادة داخل المجتمع الأميركي اليهودي».

ماذا يعني هذا الواقع المزري في قراءتنا المستقبل القريب؟ أمراً واحداً: أن نتنياهو سبق أن اتخذ خطوة استباقية في «شطب» الإدراة الأميركية من حساباته، ولن يطول به المقام حتى يدرك أنّه أخطأ القيام بذلك، خصوصاً لناحية تعاطيه الضعيف مع الملف النووي الإيراني.

وهذا يعني أيضاً أن البيت الأبيض لن يتحمس للدفاع عن «إسرائيل» في القرارات المعادية التي قد تتخذها الأمم المتحدة ضدّها، ما سيحرمها من الظهور ـ كما جرت العادة ـ بمظهر كبش الفداء. فقد تتطلع الولايات المتحدة إلى جعل «إسرائيل» تدفع ثمن سياساتها الاستيطانية هذه المرة.

سينجح رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس السنة المقبلة، في كسب اعتراف كامل بدولة فلسطين أمام الأمم المتحدة. وأتخيل أن الولايات المتحدة ستبقى مصرّة على موقفها بمنع إصدار مثل هذا القرار في مجلس الأمن، لتساعد ـ في المقابل ـ على صوغ قرار مناهض للاستيطان بدلاً منه؛ قراراً من شأنه أن يعزل «إسرائيل» عن المجتمع الدولي.

ولن يكون مستغرباً أن نرى إدارة أوباما في مرحلة ما بعد شهر تشرين الثاني هذا، مستعدّة لاتخاذ خطوة إلى الأمام باتجاه إدارة نتنياهو: توصل حاسم ونهائي إلى حلّ الدولتين، بما يتطلبه من خرائط لترسيم حدود «إسرائيل». هذه الخرائط هي التي تقلق راحة نتنياهو وترعبه، والتي قد تستند إلى حدود 1967، مضافاً إليها بعض المستوطنات في الضفة الغربية المحاذية لـ«إسرائيل» في مقابل الأرض التي استبدلت في أماكن أخرى. وتتوقع «إسرائيل» قيام الولايات المتحدة باتخاذ مثل هذا القرار الصريح.

يبدو أن نتنياهو وأكثر وزرائه تشدّداً من حوله، قد قرّروا أن بقاءهم في الرئاسة التي ستنتهي قريباً، يقوم على انتهاج خطة تقضي بإشعار العالم من حولهم أنهم مظلومون، لكنهم «سيناضلون» بجهد لحماية ما تبقى من «إسرائيل». فها هم قد نجحوا في إصابة الجمهور «الإسرائيلي» بالصدمة بسبب العنف الممارس عليهم من قبل حماس، وكذلك مسألة معاداة السامية، والخوف من إمكانية أن تنال منهم الفوضى والوحشية التي تنهش أرجاء العالم العربي حالياً... يبدو أنّ لهذه الصيغة سحرها الفعّال.

لكن قياساً على كون «إسرائيل» حليفة للولايات المتحدة الأميركية، فأقلّ ما يُقال في هذه الصيغة إنّها «كارثيّة بامتياز».

الدَّرْك الأسفل

كتب بن كسبيت في صحيفة «معاريف» العبرية يوم 2014/10/29:

البيت الأبيض نزع أمس القفازات، وأعتقد أنّ أمراً كهذا لم يحدث لنا من قبل. جفري غولدبرغ، الصحافي الأكثر قرباً من البيت الأبيض ومن الرئيس أوباما، قدّم أمس في «آتلانتيك» مجموعة من الشتائم من أفواه شخصيات أميركية رفيعة المستوى من محيط الرئيس تجاه رئيس الحكومة نتنياهو. وقال لي مصدر أميركيّ أمس ما يلي: «لقد عافت نفسنا من المواعظ اليومية لهذا الرجل، إنه ناكر للجميل، ويتصرّف كأنه هو كل شيء، وكأنّ الباقين لا يساوون شيئاً، هو يتسبب بضرر شديد لإسرائيل».

لنفترض جوهرياً أن نتنياهو على حق، وأنّ «إسرائيل» يجب أن تبني طوال الوقت وفي كل مكان، وفي الاماكن خارج المستوطنات الكبيرة. والسؤال الأكثر أهمية هو: هل هو أيضاً ذكي؟ هل هو مسؤول؟ هل من حقه أن يأخذ الملك الاستراتيجي الاكثر أهمية للشعب اليهودي وتدميره؟

لا سور واقياً آخر لنا في العالم باستثناء

> إدارة أوباما لم تعُد تثق بقدرة نتنياهو على توجيه ضربة تمنع إيران من زيادة قدرتها النووية إذ كان هذا الاحتمال قائماً منذ سنتين أمّا اليوم فهو عاجز حتى عن سحب الزناد

أميركا. حتى لو كانت لك خلافات مع أميركا، فإنّ من مسؤوليتك الحفاظ على العلاقات الدافئة معها. على الثقة. على تأييد الحزبين الجمهوري والديمقراطي. من واجبك أن تحافظ على كرامة الرئيس. أن تنظف الغسيل «الوسخ» داخل الغرفة. وألّا تبصق في البئر التي تشرب منها، أن تقول الحقيقة للرئيس. ولا تقدم وعوداً كاذبة. وألّا تتآمر على الرئيس وتساعد من يحاولون إسقاطه. وألّا تقامر على مستقبل الشعب اليهودي.

لقد أخلّ نتنياهو بكل هذه الالتزامات. فهو يزيد من هجومه على البيت الأبيض بشكل يوميّ. ويبدو أنه يعلم شيئاً لا يعلمه سواه، ولم يكشفه بعد. أو أنه ببساطة قرر أن يراهن على كل شيء وبجنون ضدّ الشخص الأقوى في العالم.

أوباما أيضاً، سمكة باردة ولا مشاعر انتقام لديه، انكسر أمس. وأطلق الحبل وأعطى بعض رجاله الأمر ليتحدّثوا. أنا أسمع أن الفيتو الاميركي في مجلس الأمن ـ في حال وصول أبو مازن إلى هناك ـ ليس مضموناً. على أوباما أن ينجح في انتخابات نصف الولاية في الأسبوع المقبل، واتخاذ قرار. لا شيء مضموناً بعد اليوم.

نتنياهو شخص غير مرغوب فيه في البيت الابيض. السفير الذي أرسل إلى هناك تحول إلى سفير «إسرائيل» في لاس فيغاس، ووزير دفاع نتنياهو عاد من واشنطن مُهاناً.

تصفية حساب!

وفي 2014/10/26، كتب شمعون شيفر في صحيفة «يديعوت أحرونوت» العبرية:

كلّ دبلوماسيّ مبتدئ يعرف أن ليس في واشنطن وجبات مجانية. فالإدارة الأميركية تحسن لمن يحسن إليها، لكنها تحرص على معاقبة من يتجرأ على المسّ بمصالحها القومية. هذا ما تعلمه على جلدته وزير الدفاع موشيه بوغي يعالون الأسبوع الماضي.

لكن الانتقاد الشديد الذي وجّهه يعالون إلى السياسة الأميركية في السنة الأخيرة، هو عملياً مؤشر على موقف رئيس الوزراء نتنياهو المهين وعديم المسؤولية من إدارة أوباما. فللبيت الأبيض حساب مفتوح مع رئيس وزراء «إسرائيل»: هم مقتنعون بأنه حاول المسّ بصورة الرئيس، ولا ينسون كيف نبش خلف الكواليس في حملة الانتخابات الأخيرة في مصلحة خصمه الجمهوري ميت رومني.

مؤشر واضح على الشرخ العميق بين نتنياهو وأوباما، وجد تعبيره في حقيقة أنه من ناحية كبار رجالات الإدارة، ليس لـ«إسرائيل» اليوم حقاً سفير في واشنطن، على الأقل لا عملياً: فالسفير رون ديرمر، أحد أكثر المقرّبين من نتنياهو، أصبح منذ تسلّم مهام منصبه، ما يسمى في اللغة الدبلوماسية: شخصية غير مرغوب فيها، في واشنطن على الأقل.

الموقف منه معاد لدرجة أنه تسود في العاصمة الأميركية نكتة: فليّس مستشارو الرئيس وحدهم يرفضون اللقاء مع ديرمر ـ بل حتى في مركز الاتصالات في البيت الابيض غير مستعدّين للردّ على مكالماته.

كان يمكن لهذا أن يكون مضحكاً لو لم يكن محزناً بهذا القدر، إن لم نقل خطراً: يخيّل أنه لم يكن أبداً رئيس وزراء ووزير دفاع أبدياً الاحتقار العميق بهذا القدر إزاء الإدارة الأميركية. فادّعاؤهما بأنّهما سيلقنان أوباما درساً في إدارة العالم، والاتهامات المتكرّرة الصادرة منهما عن «سذاجة» الأميركيين و«جهلهم» في الشرق الأوسط، كلّ ذلك يدل على أمر مؤسف للغاية: ليس فقط نتنياهو لا يكن الامتنان للولايات المتحدة التي تواصل مساعدة «إسرائيل» وحمايتها في المؤسسات الدولية، بل يواصل الوقاحة والاستفزاز لها عن قصد وعن معرفة.

لا ريب أنّ الادارة الأميركية ارتكبت غير قليل من الاخطاء. وبالفعل، كانت هناك حالات عدّة كان فيها الفهم «الإسرائيلي» محقاً. لكن نتنياهو ويعالون لم يتمكّنا بعد من فهم ما لم يتجرأ أسلافهما على نسيانه: دولة تتلقى أكثر من ثلاثة مليارات من الدولارات في السنة كمساعدة أمنية ملزمة بأن تتصرف بأدب، بكياسة وبتفهم إزاء من يوفر لها السيولة النقدية التي تساعدها في ضمان وجودها.

لقد اعتقد كثيرون أنّ الرئيس الأميركي أوباما سينتظر انتخابات المرحلة الوسطى الشهر المقبل كي يصفّي الحساب مع نتنياهو. وقد أخطأوا. في واشنطن بدأوا يصفّون الحساب مع حكومة «إسرائيل» منذ الآن. وكلنا كفيلون بأن ندفع الثمن على ذلك.

التقدّم النووي في إيران... هاجس لا ينتهي لدى أعدائها

بناء المستوطنات المتواصل في فلسطين المحتلة